مطلب جواز خداع الكفار في الحرب

وحكى مكي ومحمد بن عبد الواحد لغة خامسة كسر اوله مع الاسكان
واصل الخدع ابطال امر واظهار خلافه وفيه التحريض على اخذ الحذر
في الحرب والندب الى خداع الكفار وان من لم يتيقظ لذلك لم يأمن ان
ينعكس الامر عليه قال النووي اتفقوا على جواز خداع الكفار
في الحرب كيف ما امكن الا ان يكون فيه نقض عهد او امان فلا
يجوز قال ابن العربي ويقع الخداع بالتعريض وبالكمين ونحو ذلك
وفي الحديث الاشارة الى استعمال الرأي في الحرب بل الاحتياج اليه
آكد من الشجاعة ولذا اقتصر المص على ما يشير اليه بهذا الحديث
وهو كقوله الحج عرفة قال ابن المنير معنى الحرب خدعة ان الحرب
الجيدة لصاحبها الكاملة في مقصودها انما هي
المخادعة لا المواجهة وذلك لخطر المواجهة وحصول الظفر مع
المخادعة بغير خطر وذكر الواقدي ان اول ما قال صلى الله عليه
وسلم الحرب خدعة في غزوة الخندق انتهى من الفتح وفيه
تصريح في ان الرواية انما هي بالثلاثة الاولى لتصريحه بلغة رابعة
لغة خامسة وتبعه المص وفي القاموس انه روي ايضا بكسر
الخاء وسكون الدال ويوافقه قول السيوطي في التوشيح بفتح الخاء
وضمها وكسرها وسكون الدال امر باستعمال الحيلة فيه ما امكن
واختلفت كلمتهم وذلك ان نعيما اتاه صلى الله عليه وسلم فقال اني
اسلمت وان قومي لم يعلموا باسلامي فمرني بما شئت فقال انما انت
فينا رجل واحد فخذل عنا ان استطعت فان الحرب
خدعة فخرج حتى اتى بني قريظة وكان لهم نديما فقال قد عرفتم
ودي اياكم وخاصة ما بيني وبينكم قالوا صدقت لست عندنا بمتهم
فقال لهم ان قريشا وغطفان ليسوا كانتم البلد بلدكم به اموالكم وابناؤكم
ونساؤكم لا تقدرون ان تحولوا منه الى غيره وانهم جاؤوا لحرب
محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه وقد ظاهرتموهم عليه وبلدهم واموالهم
ونساؤهم بغيره فان راوا نهزة اصابوها وان كان غير ذلك
لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبينه ببلدكم ولا طاقة لكم به
ان خلا بكم فلا تقاتلوا معهم حتى تاخذوا منهم رهنا من
اشرافهم وغطفان يكونون بايديكم ثقة لكم على ان تقاتلوا معهم محمدا
حتى تناجزوه فقالوا لقد اشرت بالرأي ثم اتى قريشا
فقال لابي سفيان ومن معه قد عرفتم ودي لكم وفراقي
محمدا واني قد بلغني امر رأيت حقا علي ان ابلغكموه نصحا
لكم فاكتموه عني قالوا نفعل قال ان يهود قد ندموا على ما صنعوا
وارسلوا الى محمد انا قد ندمنا على ما فعلنا ارضيك ان ناخذ
لك من اشراف قريش وغطفان رجالا تضرب اعناقهم
ثم نكون معك على من بقي منهم حتى نستأصلهم فارسل اليهم
نعم فان بعثت اليكم يهود يلتمسون منكم رهنا فلا تدفعوا اليهم

رجلا

١٣

رجلا واحدا ثم اتى غطفان فقال انكم اصلي وعشيرتي واحب الناس الي
ولا اراكم تتهموني قالوا صدقت ما انت عندنا بمتهم قال فاكتموا عني
قالوا نفعل فقال لهم مثل ما قال لقريش وكان من صنع الله لرسوله
ان ابا سفيان ورؤوس غطفان ارسلوا الى بني قريظة عكرمة في نفر
من القبيلتين فقالوا انا لسنا بدار مقام وقد هلك الخف و
الحافر فاغدوا للقتال حتى نناجز محمدا ونفرغ مما بيننا وبينه
فارسلوا اليهم ان اليوم يوم السبت لا نعمل فيه شيئا وكان قد
احدث فيه بعضنا حدثا فاصابه ما لم يخف عليكم ولسنا مع ذلك
بمقاتلين معكم حتى تعطونا رهنا من رجالكم يكونون بايدينا
ثقة لنا حتى نناجز محمدا فانا نخشى ان اشتد عليكم القتال
ان ترجعوا الى بلادكم وتتركونا والرجل في بلادنا ولا طاقة لنا به
فقالت قريش وغطفان والله ان الذي حدثكم نعيم لحق فارسلوا
اليهم انا والله لا ندفع اليكم رجلا واحدا فان كنتم تريدون القتال
فاخرجوا فقاتلوا فقالت قريظة ان الذي ذكر لكم نعيم لحق فارسلوا
اليهم لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا فابوا عليهم وخذل الله
بينهم وبعث الله عليهم الريح في ليال شديدة البرد فاكفأت
قدورهم وطرحت ابنيتهم ذكره ابن اسحاق في رواية
ابن هشام عن البكائي عنه ولخصه الحافظ في الفتح باوجز عبارة
وقال بعده ما لفظه قال ابن هشام حدثني يزيد بن رومان
عن عروة عن عائشة ان نعيما كان رجلا نموما وان النبي صلى الله
عليه وسلم قال له ان اليهود قد بعثت الي ان كان يرضيك ان
ناخذ من قريش وغطفان رهنا نبعثهم اليك فتقتلهم
فعلنا فرجع نعيم مسرعا الى قومه فاخبرهم فقالوا والله
ما كذب محمد عليهم وانهم لاهل غدر وكذلك قال لقريش فكان سبب
خذلانهم ورحيلهم انتهى وروى الحاكم عن حذيفة بن اليمان
الصحابي ابن الصحابي قال لقد رايتنا ليلة الاحزاب اي الليلة
التي اشتد علينا الامر فيها من ليالي الاحزاب وهي الليلة التي
كانت بعد المحاصرة الشديدة وذلك كما ذكر ابن سعد وغيره
انه لما طال المقام على قريش وقتل عمرو وانهزم من معه
انفذوا ان يغدوا جميعا ولا يتخلف منهم احد فباتوا يعبون
اصحابهم ثم وافوا الخندق قبل طلوع الشمس وعبا صلى الله عليه
وسلم اصحابه وحضهم على القتال ووعدهم النصر ان صبروا
والمشركون قد جعلوا المسلمين في مثل الحصن من كتائبهم
فاحدقوا بكل وجه من الخندق ووجهوا الى خيمته صلى الله عليه وسلم
كتيبة غليظة فيها خالد بن الوليد فقاتلوهم يومهم ذلك الى هوي
من الليل فما يقدر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا احد من المسلمين ان يزولوا من
مواضعهم ولا على صلاة ظهر ولا عصر ولا مغرب ولا عشاء فجعل الصحابة يقولون